

الفائق في غريب الحديث

- عائشة رضی الله تعالی عنها بلغها أن أُناساً يتناولون من أبيها فأرسلت إلى أَرْزُفَلَةَ منهم فلما حضروا قالت : أبى والله لا تَعْطُوهُ الأيْدَى ذاك طُودٌ منيف وظلٌّ مَدِيد . نجحَ إذْ أَاكَدَ يَتَمَّ وسَبَقَ إذْ وَنَيْدُكُمْ سَبَقَ الجوادِ إذا استولى على الأَمَدِ فتى قريش ناشئاً وكَهْفُها كَهْلًا يَفْكُ عَانِها وَيَرِيشُ مُمْلَقَها وَيَرُأْبُ شَعْبُها حتى حَلَّيْتَهُ قلوبها ثم اسْتَشْرَى في دينه فما بِرَحَتٍ شَكِيمَتُهُ في ذاتِ الله حتى اتَّخَذَ بَفَنَائِهِ مسجداً يُحْيِي فيه ما أَمَاتَ الْمُبْطِلُونَ وكان وقِيدَ الجوانحِ غَزِيرَ الدِّمَعِ شَرَجِي النَّشْجِ فَاذْصَفَقَتْ إِلَيْهِ نِسْوانُ مَكَّةَ وروى : فَأَصْفَقَتْ وولدتْ أُنْهَها يَسْخَرُونَ منه ويستَهْزِئُونَ . فإِذَا يُسْتَهْزِءُ بهم ويمدُّهم في طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ . وأَكْبَرَتْ ذلكَ رَجالاتُ قُريشِ فحَدَّتْ لَهُ قِسْرِيهاً وَأَمْتَتَلُوهُ وَغَرَضاً فما فَلَّوْا لَهُ صَفَاةً ولا قَصَمُوا لَهُ قَنَاةً وروى : ولا قَصَفُوا حتى ضربَ الحقُّ بِجِرَانِهِ وأَلْقَى بِرُكَّهَ وَرَسَّتْ أوتادهُ ودخلَ الناسُ فيه أَرْسَالاً . فلما قَبِضَ إِبْنُ نَبِيَّهِ ضَرْبَ الشَّيْطَانِ رَوْقَهُ ومدَّ طُنْبِهِ وَنَصَبَ حَبَائِلَهُ وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَطَّانَتْ رِجَالُهُ أَنْ قَدْ أَكْثَبَتْ زُهْرَهُمَا وَلَاتَ حِينَ الَّذِي يَرْجُوْنَ وَأَنْزَى وَالصَّادِقُ بَيْنَ أَطْهَرِهِمْ فقام حاسراً مُشْمِراً قد جمعَ حَائِثِيَتِيهِ وَضَمَّ قُطْرِيَهُ فَرَدَّ نَشْرَ الإِسْلامِ على غِرِّهِ وَأقام أودَهَ بَثْقِافِهِ فابْدَعَرَّ الذِّفَاقُ بَوَطْأَتَهُ وَأَنْتَاشَ الدِّينُ بِنَعْشِهِ حتى أَرَّاحَ الحقُّ على أَهْلِهِ وقرَّرَ الرِّعْوسَ على كواهلها وحقنَ الدِّمَاءَ في أَهْبِها ثم أَتَتْهُ مِنْبِيَّتُهُ فَسَدَّ نُزْلُ مَتَتِهِ بِنَظِيرِهِ في المَرُوحَةِ وشَقِيقِهِ في المَعْدَلَةِ . ذاكَ ابْنُ الخَطَّابِ أَمَّ حَفَلَتْ لَهُ وَدَرَّتْ عَلَيْهِ ! لَقَدْ أَوْحَدَتْ بِهِ ففَنِّحَ الكَفَرَةَ وَدَيَّخَها وَشَرَدَّ الشَّرْكَ شَذَرَ مَذَرَ وَيَعَجَّ الأَرْضُ وَبَخَعَهَا فقاءَتْ أَكْلالُها وَلَفْطَتْ خَبِيرِها تَرَأُّمُهُ وَيَأْأُباها وتريدهُ وَيَصْدَفُ عنها ثم وزَّعَ فيها فَيَدُّها ثم تركها كما صَحَبَها . فأروني ما تَرَأُونَ وأَيُّ يَوْمِي أَبى تَنْقِمُونَ ؟ أَيومِ إقامَتِهِ إِذْ عَدَلَ فيكم أَمْ يَوْمَ طَعْنِهِ فَقَدْ نَظَرَ لَكُمْ ؟ أَقولُ قولي هذا وأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ .

زَفَلَ الأَرْفَلَةُ والأَجْفَلَةُ والأَرْفَلَى والأَرْفَلَى : الجماعة يقال : جاءوا أَرْفَلَةً وَأَجْفَلَةً وَبَأَزَوْفَلْتَهُمْ وَأَجْفَلْتَهُمْ . قال الشماخ يصف إبلا :